من مئتين سنة
في المقتطف

أطباء الشرق

للدكتور كرنيليوس فانديك

ليس ثمة تاريخ أسقم من تاريخ اطبّاء العرب فيقتضي جمع ما يذكر منهُ من مؤلفات كثيرة بعضها يناقض بعضاً احياناً والكل ممزوج بحكايات وخرافات لا اصل لها وكثيراً ما يعسر تمييز فاسدها من صحيحها . ومن المؤلفات التي منها جمعت ما اقوله في هذا الموضوع تاريخ الدول لابي الفرج الملطي وكتاب وفيات الاعيان لابن خلكان وتاريخ المسلمين لابي الفدا الحموي وكتاب المكتبة الشرقية للقس السمعاني الماروني وكتاب تهذيب الاسماء لابي زكريا يحيى النووي وكتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة وكتاب طبقات الشافعية لابن شهبة

كان العرب قبل الاسلام محصورين في شبه جزيرة العرب وحسب ما بقي من تواريخهم لم يقم بينهم عالمٌ شهير طبيباً كان او غير طبيب وانما كثرت فيهم الشعراء . واطباؤهم اخذوا ما اخذوهُ من الطب عن السريان والفرس والهنود ولذلك نذكر بعض الذين اخذ عنهم اطباء العرب قبل الاسلام اي قبل القرن السابع بعد المسيح

(١) قطقه الهندي . كان من مشاهير حكماء الهند وفلاسفتهم . حكى ابو معشر جعفر بن محمد ابن عمر البلخي في كتاب الالوف ان قطقه كان من اشهر علماء الهند في معرفة علم الهيئة وعلم الطب. ومن مصنفاته كتاب اسرار المواليد وكتاب الاقتران الاعلى والاسفل للسيارات وكتاب قوانين الطب وكتاب دوران الافلاك وكتاب منازل القمر

(٢) سندشهل الهندي. حكيم عالم في الهيئة والطب . وذكر في الكتب العربية عدة اشخاص من مشهوري الهنود حكماء في الطب وعلم الهيئة منهم باكور ورجاء وصفا وداهر وانكر وزنكل وشهر وانديو وجادي وتُرجم كثير من مصنفاتهم الى العربية . وذكر الرازي في الحاوي هنديًّا اسمهُ شركة تُرجمت مصنفاتهُ الى الفارسية ومن الفارسية الى العربية عن يد عبدالله بن علي وكتاب سُسْرُود تُرجم من الفارسية الى العربية بسعي يحيى بن خالد البرمكي وكتاب نداتا ذكر فيه اربعمائة مرض واربعة امراض وكتب أُخر هندية تُرجمت الى العربية مثل كتاب علل النساء وكتاب البكر وكتاب الحيّات السامّة

(٣) ابو قابيل الهندي . كتب كتاباً سمّاهُ كتاب الامراض والعلل

(٤) شانك الهندي . حكيم في علم الهيئة والطب كتب في السموم وتُرجم كتابهُ هذا الى الفارسية ثم الى العربية عن يد العباس بن سعيد الجوهري لاجل الخليفة المأمون وشرحهُ يحيى بن البطريق الآتي ذكرهُ . وكتب كتاباً في الطب البطري وكتاباً في علم الهيئة

(٥) جودكل طبيب هندي شهير من كتبه كتاب في المواليد تُرجم الى العربية

(٦) ثيودورس . طبيب مسيحيٌّ من نيسابور نال حظًّا عند الملك سابور ذي الاكتاف فبنى هذا الملك كنيسة في نيسابور اجابةً لطلب ثيودورس . وعاش ثيودورس بين سنة ٣٠٩ و ٣٨٠ للمسيح . والّف كتاباً في اليونانية سمّى قواعد الطب الصوبية وفي السرياني كناشا

(٧) برزويه بن ازدهر فارسي من مرو الشاهجان . تعلّم الطب في فارس ثم توجه الى الهند بأمر الملك انوشروان بن قباذ بن فيروز الذي ملك سنة ٥٣١ و٥٧٩ وأتى من هناك بكتاب الحكاية الشهيرة التي صنفها بذبابي الملك من ملوك الهند وتُرجمت الى الفارسية ثم الى العربية عن يد ابن المقفع وهي المعروفة بحكاية كليلة ودمنة

(٨) سرجيوس او سرجيس بن الياس الراقي من رأس عين مسيحي يعقوبي عاش في عصر الملك يوستيانوس وترجم عدة كتب من اليونانية الى السريانية وبعد حين ترجمت الى العربية في عصر الخلفاء بني العباس

(٩) هارون او اهرون القس الاسكندري الّف كتاباً في الطب في السريانية كان في عصر هيراكليوس وترجم كتابهُ الى العربية

(١٠) عبد الملك بن ابجر الكناني . طبيب عربي مسيحي وعلم الطب في الاسكندرية . أسلم في ايام عبد العزيز بن مروان والي مصر سنة ٧٠ للهجرة اي ٦٨٩ للمسيح

(١١) اما يوحنا او يحيى المعروف عند السريان بكراماطيقوس اي النحوي فكان اسكندريًّا مسيحيًّا يعقوبيًّا . دخل الى عمرو بن العاص وقد عرف موضعهُ من العلوم فأكرمهُ عمرو وسمع من اقواله الفلسفية وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمهُ وكان لا يفارقهُ

كان الدكتور كريليوس فانديك رحمة الله عليه نجماً من أنجم الهيئة العلمية في الشام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وقد تعلم العربية وأجادها والف فيها في الفلك والكيمياء والمثلثات والنبات والباثولوجيا والعروض ووضع سلسلة النقش في الحجر في تبسيط العلوم. وكان استاذاً في جامعة بيروت الاميركية (الكلية السورية الانجيلية) ومديراً لمرصدها الفلكي وكان له على «المقتطف» اعظم الفضل فانه شجع منشئيه واشترك معهما في وضع خطته وهذه مقتطفات من فصل كتبه تقرظ في مجلده الاول

(١٨١٨ — ١٨٩٥)

اما الاطباء الذين اثبت انبا اسماؤهم بين العرب بعد الاسلام فتقسم اعصارهم الى ست مدات الاولى من السنة الاولى للهجرة الى سنة ١٥٠ والثانية من ١٥٠ الى ٣٠٠ والثالثة من ٣٠٠ الى ٤٠٠ والرابعة من ٤٠٠ الى ٦٠٠ والخامسة من ٦٠٠ الى ٧٥٠ والسادسة من ٧٥٠ الى ١٠٠٠ وفي مدة الالف السنة هذه نجد ذكر ٣٠٠ من الاطباء المشهورين الذين لغتهم العربية وان لم يكونوا جميعاً عرباً في الاصل ومنهم من الذين دون الطبقة الاولى ولا يسعنا المقام غير ذكر اشهر المشهورين فنقول

المدة الاولى من السنة الاولى للهجرة الى سنة ١٥٠ اي من ٦٢٢ للمسيح الى ٧٦٧

ان الخلفاء والامراء الاولين اخذوا اطباءهم من المسيحيين واليهود وفي تلك المدة لم يقم بين العرب طبيب شهير واول من ذكر من اطباء العرب الحرث بن كلدة الثقفي طبيب العرب اصله من ثقيف من اهل الطائف رحل الى ارض فارس واخذ الطب عن اهل جندبسابور وغيرها في الجاهلية وطبب في ارض فارس وحصّل مالاً ثم ان نفسهُ اشتاقت الى بلادهِ فرجع الى الطائف ومن اقوالهِ من سرّهُ البقاء ولا بقاء فليأكل الغذاء وليخفف الرداء وليقلّ من غشيان النساء يريد بخفة الرداء ألاّ يكون عليهِ دين . قيل مات في سنة ١٣ للهجرة (٦٣٤ م) من سمٍّ سُقيهُ قبل ذلك بسنة

(١٣) نضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي كان من الجاهلية وأُخذ اسيراً يوم بدر فقُتل

(١٤) ابو حفص يزيد مولى مروان بن الحكم طبيب يهودي في اليمامة اسلم في خلافة عثمان ابن عفّان سنة ٣٠ للهجرة (٦٥٠ م)

(١٥) ماسرجويه الطبيب البصري سرياني الثقة يهودي المذهب تولّى ترجمة مؤلّف القس اهرون المشار اليهِ الى العربية من السريانية في خلافة مروان. حدّث ايوب بن الحكم قال كنت جالساً عند ماسرجويه اذ اتاهُ رجل من الخوز فقال اني بُليت بداء لم يُبلَ احد بمثلهِ فسألهُ عن دائهِ فقال أُصبح ببصري مظلم عليّ وانا اصاب بمثل لجس الكلاب في معدتي فلا تزال هذه حالي الى ان أُطعم شيئاً فاذا أُطعمت سكن ما اجد الى وقت انتصاف النهار ثم يعاودني ما كنت فيهِ فاذا عاودت الاكل سكن ما بي الى وقت صلاة العتمة ثم عاودني فلا اجد لهُ دواء الاّ معاودة الاكل فقال ماسرجويه على دائك هذا غضب الله فانهُ اساء لنفسهِ الإختيار حين اقترن بك ولوددت ان هذا الداء تحوّل اليّ والى صبياني فكنت اعوّضك ما تُدرك بك مثل نصف ما املكُ فقال لهُ الخوزي ما افهم عنك قال ماسرجويه هذه صحة لا تستحقها اسأل الله نقلها عنك الى من هو احقّ بها منك

(١٦) ثيوذوكس وتيودون طبيبان رومانيان في خدمة الحجاج بن يوسف الثقفي حاكم البصرة في خلافة عبد الملك بن مروان لازمها عدة تلامذة وكتب في الطب وكان من تلاميذهِ الفرات بن شحناثا في زمن المنصور

(١٧) ابو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية الاموي اخذ الكيميا والطب عن راهب رومي اسمهُ موريانوس توفي سنة ٨٥ للهجرة (٧٠٤ م)

(١٨) اصطفانوس اول المترجمين لخالد بن يزيد ترجم عدة مصنفات من الرومية الى العربية

(١٩) احمد ابن ابرهيم طبيب الخليفة يزيد بن عبد الملك في نحو سنة ١٠٠ للهجرة (٧١٨م) استخلص من كتب بقراط كتاباً سمَّاهُ اصول الطب ورسالةً في اثبات المستعمل في الطب

(٢٠) ابو بكر محمد بن سيرين البصري كان ابوهُ نحاساً من جرجرايا جلاه الى عين التمر في بعض المصالح فاخذه خالد بن الوليد اسيراً مع ٤٠ فتىً آخرين فاشتراه انس بن مالك ثم فدى نفسهُ بعشرين الف درهم وتزوَّج بصوفيا مولاة ابي بكر فولدت محمداً الذي نحن في صدده في سنة ٣٣ للهجرة (٦٥٣ م) واشتهر في معرفة الحديث وتعبير الاحلام وصار كاتباً لانس بن مالك لما تولى البصرة. قيل ولد له ثلاثون ولداً من امرأة واحدة وغلب عليهِ الدَّين فأُلقي في الحبس. وقبل وفاة انس بن مالك اوصى ان لا يصلي عليهِ احد ولا يقرأ عليهِ الصلاة الاَّ ابن سيرين فاتي بهِ من السجن ولما كمل الفرض عاد اليهِ بدون ان يرى اهل بيتهِ. توفي في ١١٠ للهجرة (٧٢٨ م) والَّف كتاباً في تعبير الاحلام كثير الذكر بين الذين اتوا بعدهُ

(٢١) ابن ابي زاحف الَّف في النبات في نحو ١٢٥ للهجرة (٧٤٢ م)

(٢٢) عبدالله المقفَّع فارسي مجوسي اصلاً. اسلم على يد عيسى بن علي عم ابي العباس والمنصور من بني العباس. الَّف كتاباً في الامراض وشرحاً على ارسطوطاليس ترجم من الفارسية الى العربية. قُتل بامر سفيان والي البصرة

(٢٣) ابو قريش عيسى الصيدلاني في بغداد في عصر الخليفة المهدي لم يُذكَر هذا من جملة الاطباء لانهُ كان ماهراً بالصناعة وانما يذكر لظرافة خبره قيل كان هذا الرجل صيدلانيًّا ضعيف الحال جدًّا فشكت الخيزران حظيَّة المهدي وكانت من مولدات المدينة وتقدَّمت الى جاريتها بان تخرج القارورة الى طبيب غريب لا يعرفها وكان ابو قريش بالقرب من القصر الذي للمهدي فلما وقع نظر الجارية عليهِ ارتهُ القارورة فقال لها لمن هذا الماء فقالت لامرأة ضعيفة فقال بل لملكة جليلة عظيمة الشأن وهي حبلى بملك. وكان هذا القول منهُ على سبيل الرزق. فانصرفت الجارية من عنده واخبرت الخيزران بما سمعت منهُ فتفرحت بذلك فرحاً شديداً وقالت ينبغي ان تضعي علامةً على دكانهِ حتى اذا صحَّ قوله اتخذناه طبيباً لنا وبعد مدة ظهر الحبل وفرح بهِ المهدي فرحاً شديداً فانفذت الخيزران الى ابي قريش خلعتين فاخرتين وثلاثمائة دينار وقالت استعن بهذه على امرك فان صحَّ ما قلتهُ استصحبناك فعجب ابو قريش من ذلك وقال هذا من عند الله جلَّ وعزَّ لاني ما قلتهُ للجارية الاَّ وقد كان هاجساً من غير اصل. ولما ولدت الخيزران موسى الهادي سرَّ المهدي سروراً عظيماً وحدثتهُ الخيزران الحديث فاستدعى ابا قريش وخاطبهُ فلم

يجد عنده علماً بالصناعة الا شيئاً يسيراً من امر الصيدلة الا انه اخذه طبيباً لما جرى منه واستصحبه واكرمه الاكرام التام وحظي عنده

(٢٤) ابو عبدالله جعفر بن محمد بن علي الصادق السادس من الائمة المستورين العلويين الف في الهيئة والكيمياء والرمل وتوفي في المدينة سنة ١٤٨ للهجرة (٧٦٥م)

(٢٥) ابو موسى جابر بن حيان بن عبدالله الصوفي الطرسوسي مولداً الكوفي مسكناً من تلامذة جعفر الصادق . اشهر في الكيمياء وجمع خمسمائة رسالة من رسائل جعفر في ١٠٠٠ صفحة طبع مؤلفه في ستراسبورج سنة ١٥٣٠ وايضاً ١٦٢٥ وطبع كتاب اصول الكيمياء لجابر وابن سينا في مدينة باسل سنة ١٥٧٢ وكتاب له في الهيئة في نورومبرج سنة ١٥٣٤

***

في المدة الثانية بقي علم الطب مع الاجانب ولم يشتهر به عربي اصلي وفيها اجتهد الخلفاء في ترجمة كتب اليونان والسريان والفرس الى العربية ومن اشهر المترجمين حنين كما سيأتي

(٢٦) اما اشهر اطباء اوائل هذه المدة فمنهم عائلة بختيشوع اولهم جيورجيوس بن بختيشوع اختديابوري . قبل مرض الخليفة المنصور وكما عالجه الاطباء زاد مرضاً فاخبر عن جيورجيوس هذا بانه من افضل الاطباء فكتب الى العامل بجنديابور فانفذه بعد ما اكرمه فخرج ووصى ابنه بختيشوع بالبيمارستان واستصحب معه تلميذه عيسى بن شهلاثا . ولما وصل الى بغداد امر المنصور باحضاره فلما وصل الى الحضرة دعا له بالفارسية والعربية . فعجب المنصور من حسن منطقه ومنظره وامره بالجلوس فسأله عن اشياء اجابه عنها بسكون واخبره بمرضه فقال له جيورجيوس اذاً ادبرك بمشيئة الله وعونه فامر له بوقت بخلعة جليلة وانزله في اجمل موضع من دوره واكرمه كما يكرم اخص الاهل . ولم يزل جيورجيوس يطببه حتى برىء من مرضه ففرح به الخليفة فرحاً شديداً وقال له يوماً من يحدثك هنا قال تلميذي فقال له سمعت انه ليس لك امرأة فقال لي زوجة كبيرة ضعيفة لا اقدر على النهوض من موضعها وانصرف من الحضرة ومضى الى الكنيسة . فامر المنصور خادمه سالماً ان يحمل من الجواري الروميات الحسان ثلاثاً الى جيورجيوس مع ثلاثة آلاف دينار ففعل ذلك فلما انصرف جيورجيوس الى منزله عرفه عيسى بن شهلاثا تلميذه بما جرى وأراه الجواري فانكر امرهن وقال لعيسى يا تلميذ الشيطان لم ادخلت هؤلاء الى منزلي أأردت ان تجسني . امض وردهن على اصحابهن فمضى الى دار الخليفة وردهن على الخادم فلما اتصل الخبر الى الخليفة احضره وقال له لم رددت الجواري قال لا يجوز لنا معشر النصارى ان نتزوج باكثر من امرأة واحدة وما دامت المرأة حية لا تأخذ غيرها فحسن موقع هذا من الخليفة وزاد موضعه عنده . وفي سنة ١٥٢ مرض جيورجيوس واستأذن بالانصراف الى بلده فعرض عليه المنصور الاسلام قال يا حكيم اتق الله واسلم وانا اضمن

لك الجنة فقال جيورجيوس قد رضيت حيث آباؤي في الجنة او في النار فضحك المنصور من قوله فانصرف الى بلده وترك تلميذه عيسى بن شهلاثا عند الخليفة المنصور فاتخذه طبيباً . اما هو فأخذ بأذية الناس الى ان اطلع المنصور على امره فنفاه . وفي ذلك الوقت كان من اصحاب المنصور نوبخت المنجم الفارسي وكان خبيراً بعلم الهيئة فلما كبر وضعف قال له المنصور احضر ولدك ليقوم مقامك فأحضر ولده ابا سهل . قال ابو سهل فلما دخلت على المنصور ومثلت بين يديه قيل لي تسمَّ لامير المؤمنين فقلت اسمي خرشاذماه وطيماذاه ما بادار خسير وايهشاد فقال لي المنصور اكل ما ذكرت هو اسمك قلت نعم فتبسم ثم قال اختر مني احدى خلتين اما ان اقتصر بك من كل ما ذكرت على طيماذ واما ان نجعل لك كنية تقوم مقام الاسم وهي ابو سهل قلت قد رضيت بالكنية فبقيت كنيته وبطل اسمه

(٢٧) وبعد وفاة جيورجيوس المذكور قام ابنه بختيشوع وصار طبيب هرون الرشيد. وبعده

(٢٨) جبرائيل بن بختيشوع ثم

(٢٩) جاورجيوس بن بختيشوع اخو المذكور ثم

(٣٠) بختيشوع بن يحيى . وبقيت هذه العائلة عند الخلفاء والامراء الى سنة ٤٥٠ هـ الموافقة لسنة ١٠٥٨ م اي مدة ثلاثمائة سنة ولهم مصنفات كثيرة في الطب لا يسعنا المقام ذكرها وكتب واحد منهم اكحيل السجع . ومن مترجمي هذه المدة حجاج بن مطر ترجم المجسطي لبطليموس وترجم اقليدس وبعض مصنفات ارسطوطاليس وعبد المسيح بن ناعمة والبطريق في عصر المنصور وابو زكريا يحيى بن البطريق . وفي هذه المدة اشتهر بعض الاطباء من الهنود والفرس واليهود والنصارى عند الخلفاء ولا يسعنا تفصيل ذكرهم . منهم منقة وصالح بن بهلة وعبدوس بن يزيد وموسى بن اسرائيل الكوفي وعائلة الطيفوري وزين الطبري اليهودي وابو يوسف يعقوب بن اسحق بن الساح الكندي المسيحي وقسطا بن لوقا وابو زكريا يحيى بن ماسويه وابو زيد حنين بن اسحق بن سليمان بن ايوب العبادي الشهير بالترجمة الذي ولد سنة ١٩٤ للهجرة الموافقة لسنة ٨٠٩ للمسيح . وكانت حرَّان يومئذٍ قرية للصابئين وقام من الصابئين عدة اطباء مشهورين منهم ثابت بن قرَّة الذي قيل فيه

هل للعليل سوى ابن قرة شافي بعد الاله وهل له من كافي
أحيى لنا رسمَ الفلاسفةِ الذي أودى وأوضحَ رسمَ طبٍّ عافِ
فكأنهُ عيسى بنُ مريمَ منطقاً يهبُ الحياةَ بأيسرِ الاوصافِ
مثلت لهُ قارورتي فرأى بها ما اكتنَّ بين جوانبي وشغافي
يبدو لهُ الداء الخفيُّ كما بدا للعين رخراخُ الغدير الصافي

(المقتطف: كل هذا مهَّد لازدهار الطب العربي الذي بلغ ذروته على ايدي الرازي وابن سينا والزهراوي وذكر هؤلاء الثلاثة وحدهم وتأثيرهم في نشوء الطب الحديث في اوربا يقتضي سفراً كبيراً)